6

صحيح البخاري (١٠)

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)} [آل عمران].

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)} [النساء].

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب] أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم– وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نواصل بإذن الله تعالى : شرح كتاب العلم من (صحيح البخاري)

بَابُ الغَضَبِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ

صفة الغضب بوجهٍ عام من الصفات المذمومة، وقد نهى النبي ﷺ عنها فقال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**». **أخرجه البخاري(٦١١٦)**

- **رجلا:** هو جارية بن قدامه رضي الله عنه.
- **مرارا:** كرر طلبه للوصية مرات.

إذن الغضب من الصفات التي نهى الشرع عنها، ولهذا فإن الخير كله لا يأتي إلا بالهدوء والسكينة.

وقال النبي ﷺ أيضًا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»

أخرجه البخاري(٦١١٤)، أخرجه مسلم(٢٦٠٩).

- **الشديد:** القوي الحقيقي. - **بالصرعة:** الذي يغلب الرجال ويصرعهم.
- **يملك نفسه:** يكظم غيظه ويتحلم ولا يعمل بمقتضى غضبه.

فالإنسان القوي فعلًا هو الذي يستطيع أن يتحكَّم في نفسه بل ويُسيطر عليها فلا يدفعه أي موقف إلى أن يُستفز فينفعل ويحمله ذلك الانفعال على الوقوع في الخطأ.

ولكن الإمام البخاري بوب بابًا في كتاب العلم ونص فيه على جواز الغضب فهل هذا الكلام جائز على إطلاقه أم أن له معايير ؟

١- **أولًا:** وكما قُلنا أن الغضب من الصفات المذمومة وهذا بوجهٍ عام إلا أنه في بعض الأحيان ينبغي على الإنسان أن يغضب فإذا لم يغضب فعليه أن يبحث في حال نفسه وسيجد أن لديه إشكال في أمر دينه.

- **مثال:** شخص رأى مُنكرًا أو خطأ ما فهل من المعقول أن يُطالب بأن لا يغضب أو أن يُمرر الأمر ويهدأ ويتحدث بطريقة لينة وكأن شيئًا لم يكن أو يتعامل مع الأمر على أنه يسير وليس من الواجب أن ننفعل حيال ما حدث؟ هذا الكلام غير مُنضبط تمامًا.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ**»

أخرجه البخاري (٩٠).

- **رجل:** هو حزم بن أبي كعب وقيل غيره.
- **لا أكاد أدرك الصلاة:** أتأخر عن صلاة الجماعة أحيانا فلا أدركها،
- **مما يطول:** بسبب تطويل.

- **فلان:** هو معاذ بن جبل رضي الله عنه.
- **إنكم منفرون:** تتلبسون بما ينفر أحيانا، فليخفف: أي بحيث لا يطيل الصلاة.

أبو مسعود البدري هو: الصحابي أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري، اسمه عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة (وقيل بن يسيرة).

كنيته: أبو مسعود واشتهر بهذه الكنية فصار يسمى بها، ويعرف بالبدري، والأكثر عند أهل السير أنه لم يشهد بدرًا وإنما سمي بدريًا لأنه نزل ماء ببدر أو سكنها، فشهر بذلك وكان يُعرف عند أهل الكوفة بذلك، وكان ممن شهد بيعة العقبة الثانية، وكان شابًا من أقران جابر بن عبد الله في السن، وأحدث من شهدها سنًا، روى أحاديث كثيرة، وهو معدود في علماء الصحابة، نزل الكوفة وسكن بها، وكان من أصحاب علي رضي الله عن الصحابة جميعًا، واستخلفه علي على الكوفة لما سار إلى صفين

وقد أكد البخاري أنه من الصحابة الذين شهدوا بدرًا والدليل هو ما أورده من أحاديث في البخاري عن كونه شَهِدَ بدرًا.

جاء في الحديث نهي من النبي ﷺ للصحابي عن الإطالة في الصلاة بالناس لأن فيهم أصحاب أعذار وحتى لا يُنفَّر البعض من صلاة الجماعة إذا ما حدث ذلك، في حين أن الوارد عن النبي ﷺ في أكثر من موضع وأكثر من حديث أنه كان يُطيل في صلاة الفجر، فقد كان يقرأ فيها من الستين إلى المائة آية، وورد عنه أيضًا أنه كان يقرأ بسورة يوسف

وغيرها من السور الطوال.

وحتى نستطيع أن نجمع بين فعل النبي ﷺ من الإطالة في الصلاة وبين نهيه (وشدة غضبه من الإطالة) عن التطويل في صلاة الجماعة فعلينا أن نعود إلى البيان الوارد في كلمات الحديث، فعلى حسب حال المأمومين الذين يُصلي بهم الإمام يكون حال الصلاة، فإذا كان يُصلي الإمام ببعض العوام ممن لا يملكون الصبر فعليه أن لا يطيل الصلاة بهم، أما إذا كان يُصلي ببعض الملتزمين أو طلبة العلم فلا مانع من الإطالة، إذن من فقه الإمام أن يكون على علم بحال المأمومين فيُقصِّر أو يُطيل بحسب أحوالهم.

إذن فالأصل هو: أن مَن استطاع أن يُطيل في الصلاة فليُطِل فيها ولكن إذا كانت هذه الإطالة ستؤذي البعض فلا ينبغي فعل ذلك حتى لا نُنفِّر الناس من صلاة الجماعة.

٢- لابد من الغضب إذا كان الأمر مُتعلق بالدين، فالغضب المنهي عنه هو الغضب للنفس أما عند انتهاك حُرمات الله فلا يجوز إمرار الأمر وكأن شيئًا لم يكن بل لابد من الغضب والنهي عن فعل ذلك وإلا فسيُفسر السكوت على أنه إقرار لهذا الفعل الخطأ، كما أنه لابد أن يُصاحب هذا النهي بيان لهذا الفعل أنه منكر وحجم هذا المنكر، وليس المقصود بهذا

الانفعال الشديد ولكن البيان لمدى الخطأ الواقع والذي يمس الدين (بيان مدى الحُرمة).

اليوم نرى أن البعض ممن لديهم علم بأمور الحرام والحلال في الدين عندما يجلس بين أناس ويرى منهم خطأ فإنه قد لا يتكلم وإذا ما تكلم فإنه يتكلم على استحياء وهو في حالة من التردد وكأنه خائفٌ منهم فلماذا؟

القوة في الدين: هي أن يصدع الإنسان بالحق إذا رأى المنكر ويُبين خطورة هذا المنكر (حجم المنكر_المعصية_الذنب) ولا يُقرهم على هذا المنكر بسكوته، فإن لم يتوقفوا عن أفعالهم تلك فعليه أن يتركهم ويُغادر المكان حتى لا يكون سكوته تمييعًا للقضية، لأن سكوت الملتزم على الخطأ الحادث في المجلس الذي هو فيه يُعطي مُبرر لسكوت مَن هو دونه من غير المُلتزمين فهو ينظر إلى الملتزم على أنه المُتحدث بلسان الدين وسكوته يعني أن القضية (الخطأ) ليست ذات قيمة.

كان صاحب الخلق العظيم ﷺ يقول: ما بالُ أقوام يفعلون كذا وكذا

_كما أن الحديث يُبين أن من حُسن خُلق الداعي أن لا يُوجه اللوم أو أن يُعنِّف أحد على الملأ، ولهذا قال النبي ﷺ **(إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ)** فترك الأمر مُبهم فلم يُسمِ أحد أو يُوبخه على أعين الناس كما أنه لم يُعطِ إشارات أو علامات تُشير إلى المقصود بالكلام.

بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ

قَالَ الْخطابِيّ: إِعَادَة الْكَلَام ثَلَاثًا إِمَّا لِأَن من الْحَاضِرين من يقصر فهمه عَن وعيه فيكرره ليفهم، وَإِمَّا أَن يكون القَوْل فِيهِ بعض الْإِشْكَال فيتظاهر بِالْبَيَانِ.

وَقَالَ أَبُو الزِّنَاد: أَو أَرَادَ الإبلاغ فِي التَّعْلِيم والزجر فِي الموعظة.

وهذا يعني: أن الكلام يُكرر ثلاث مرات وذلك يكون إما لأن السامع لا يُدرك معنى الكلام من أول مرة أو أن يكون في القول إشكالٍ ما فيُبين المعنى المقصود بشكلٍ واضح، وإلا فإن هذا ليس من عادة النبيﷺ.

ولنا هنا وقفة مع عنوان الباب: فهناك إشكالية كبيرة توجد عند طالب العلم في أيامنا هذه ألا وهي: أنه عندما يحتاج إلى معلومة فإنه يلجأ إلى كتاب ويقرأ منفردً أو يذهب إلى شبكات التواصل الاجتماعي فيسأل وتظهر له إجابة، هذا الطالب يعتقد أنه من الممكن أن يصل إلى العلم من غير مُعلِّم، وهذا خطأ كبير جدًا يقع فيه طالب العلم، فمن المستحيل أن يحدُث هذا.

– **مثال:** من الممكن أن يأخذ طالب علم هذا الحديث الوارد في البخاري وفي أعلى درجات الصحة ثم ينشره بين الناس ويقول أن هدي النبي ﷺ أنه كان يلقي السلام ثلاث وأنه كان يُكرر الكلام ثلاث.

في حين أن هذا الكلام ليس على إطلاقه، وعلى مَن يُحاول الوصول إلى تحصيل العلم الصحيح أن يلجأ إلى شُرَّاح الحديث أو أن يسأل مُعلمه الذي يتلقى العلم على يديه.

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ **«إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا»** أخرجه البخاري(٩٤).

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ **«إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا»** أخرجه البخاري(٩٥).

يسأل سائل أليس في هذا الحديث ما يؤيد الباب الذي بوبه البخاري في هذا؟ الإجابة (لا).

لأن القارئ لكلام البخاري نفسه وكذا العلماء عند الرجوع إلى شروح الحديث سيجد أن مقصود الكلام خلاف ذلك، فهو فعلًا سلم ثلاثًا وأعاد الكلام ثلاثًا ولكن كان ذلك في بعض الحالات فليس الكلام على إطلاقه، فقد يُسلم ثلاثًا إذا كان يعتقد أن البعض لم يسمعه عند إلقائه للسلام في المرة الأولى ولا الثانية (جمع كبير جدًا من الناس وسمعه البعض دون البعض الآخر)وهذا هو تأويل من بعض التأويلات التي للعلماء في شرحهم للحديث.

وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا ليُبالغ في الإفهام والإسماع وليس أيضًا على الإطلاق (اللهم ارزقنا حسن الفهم والإفهام وسحر البيان وقلة الكلام وجماع الكلام).

قال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد:

كان من هديه و سنته ﷺ أن يسلم ثلاثا كما في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثا حتى يفهم

ولعل هذا كان هديه في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد أو هديه في إسماع السلام الثاني والثالث إن ظن أن الأول لم يحصل به الإسماع كما سلم لما انتهى إلى منزل سعد بن عبادة ثلاثا فلما لم يجبه أحد رجع، وإلا فلو كان هديه الدائم التسليم ثلاثا لكان أصحابه يسلمون عليه كذلك، وكان يسلم على كل من لقيه ثلاثا وإذا دخل بيته ثلاثا ، ومن تأمل هديه علم أن الأمر ليس كذلك وأن تكرار السلام منه كان أمرا عارضا في بعض الأحيان.

بَابُ تَعْلِيمِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ وَأَهْلَهُ

قَالَ عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ: حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ** "، ثُمَّ قَالَ عَامِرٌ: أَعْطَيْنَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ، قَدْ كَانَ يُرْكَبُ فِيمَا دُونَهَا إِلَى المَدِينَةِ" **أخرجه البخاري (٩٧).**

ترجمة أبي بُردة: بن أبي موسى، عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، الفقيه، العلامة، قاضي الكوفة، وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق، اسمه عامر فيما قيل، وولي قضاء الكوفة بعد شريح مدة، ثم عزله الحجا ، وولى أخاه أبا بكر بن أبي موسى عبد الله بن وهب حدثنا ابن عياش القتباني، عن أبيه، أن يزيد بن المهلب ولي خراسان، فقال: دلوني على رجل كامل بخصال الخير، فدل على أبي بردة، فلما رآه، رأى رجلا قانعا فلما كلمه رأى من مخبره أفضل من مرآه.

وروى سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، قال بعثني أبي أبو موسى إلى عبد الله بن سلام لأتعلم منه.

ينقل أبو بردة في الحديث قول النبي ﷺ:

أن هناك ثلاثة لهم أجران:

١- رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي: من اليهود أو النصارى كان على الصحيح من دينه أي على التوحيد الصحيح وعندما بُعِث محمد ﷺ آمن به أيضًا واتبعه على ما أرسله الله به فأحسن الإتباع.

٢- وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ: وكذلك الأمة داخلة في الفضل، وفائدة ذكر(مملوك)بعد و(عبد)حتى لا يتوهم بأن المراد بالعبودية العبودية العامة لله تعالى، وإنما المراد الرقاق.

٣- وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا:
وهذا هو ثالث مَن يستحق الأجران يوم القيامة.
ولقد بوب الإمام هذا الباب من أجل الإشارة إلى هذا النوع الأخير من الرجال وليس من أجل الرجلان السابقان.

فمَن كانت لديه أمة فأدبها وعلمها وأحسن ذلك ثم أعتقها فتزوجها فله أجران، إذن ذُكرت الأمة في الحديث ولكن الأهل يكونوا بالقياس على ذلك، لأن مَن كانت لديه أمة ففعل معها ذلك فالأولى من الأمة يكون الأهل، فالأهل بالقياس في التأديب والتعليم والإحسان إليهم أولى.

وتلك هي مسئولية الرجل وليست مسئولية المرأة، ولكن ما نراه الآن هو إلقاء هذه المسئولية على عاتق النساء، فهي التي تخرج كي تتعلم وتعمل وتأتي بالأموال وبعد كل تلك المعاناة تعود إلى بيتها لتقوم بأعباء المنزل أيضًا وتختم كل هذا بمتابعة الأولاد في دراستهم، فأين دور الرجل؟ اليوم أيضًا نجد أن من النساء مَن تقوم بتعليم الزوج وهو لا يعلم أي شيء في حين أن الصحيح هو العكس، وهو أن يُعلم الرجل زوجته أمور دينها ويبذل في ذلك الجهد والوقت حتى ينصلح الحال، وليس معنى ذلك أن لا تخرج النساء طلبًا للعلم ولكن المقصود هو أن هذه هي مسئولية الرجل في الدرجة الأولى.

فَإِن قيل: أَلَيْسَ التَّأْدِيب دَاخِلا تَحت التَّعْلِيم؟ قيل: لَا، إِذْ التَّأْدِيب يتَعَلَّق بالمروآت، والتعليم بالشرعيات، أَي: أَن الأول عرفي، وَالثَّانِي شَرْعِي؛ أَو: الأول دُنْيَوِيّ، وَالثَّانِي ديني.

ومن حُسن التأديب عدم التعنيف فيكون التعليم والتأديب باللطف والرفق واللين إلى أن يُحب المُتعلم أمور دينه، وليس بالضرب والإهانة، كما أن مسألة التأديب والتعليم لابد أن يُصاحبها صبر من المُعلم على المتعلم حتى يتحلى بحسن الخلق وحلو الكلام ومنطقه فإذا ما رآه الناس لمسوا فيه حسن الأدب وحسن الخلق الذي تعلمه.

قَالَ عَامر الشّعبِيّ: أَعْطَيْنَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ، قَدْ كَانَ يُرْكَبُ فِيمَا دُونَهَا إِلَى المَدِينَةِ ، أَي: أعطينا الْمَسْأَلَة أَو الْمُقَابلَة إياك بِغَيْر شَيْء أَي: بِغَيْر أَخذ مَال مِنْك على جِهَة الْأُجْرَة عَلَيْهِ، وإلاَّ فَلَا شَيْء أعظم من الْأجر الأخروي الَّذِي هُوَ ثَوَاب التَّبْلِيغ والتعليم.

وهذا ليس من باب المَنْ، لأنه يجوز للعالم أو المُعَلِّم أن يُذكِّر مَنْ يأخذ منه العلم بفضل ما أخذه حتى يُحافظ عليه، وهذا فيه أيضًا بيانًا لقيمة العلم والتي ينبغي أن يُحافظ المتلقي له عليها وهذا الحفظ ليس له إلا طريق واحد وهو العمل وإلا سيذهب سُدى وقد لا يذهب ولكنه يظل باقٍ في الذاكرة ويكون حُجة على صاحبه يوم القيامة.

إذن فإن هُناك أمور قد يحدُث فيها لبس عند البعض منها:

(الفرق بين تزكية النفس وبين إظهار العلم، بين المَنْ وبين الحِرص على العلم،، بين الكِبْر وبين عِزة النفس) هذه الفروق قد لا يَعِيهَا البعض وبالتالي فإنهم عندما يُصدرون أحكامهم يكون على أُسُسْ ظالمة.

قال: قَدْ كَانَ يُرْكَبُ فِيمَا دُونَهَا إِلَى المَدِينَةِ: فلماذا ذكر المدينة دون غيرها من الأمصار الأُخرى؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى المَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»

أخرجه البخاري(١٨٧٦)،أخرجه مسلم(١٤٧).

- **ليأرز**: لينضم أهله ويجتمعون، -**حجرها**: مسكنها الذي تأمن فيه وتستقر.

فما معنى ذلك؟ لقد انطلق كل العلم والإيمان والغزوات والخير كله من المدينة، فقد نزلت الأحكام (آيات الأحكام) في المدينة (الأوامر والنواهي الشرعية) أما الآيات المكية فإن الوارد فيها هو(تثبيت الاعتقاد في الغيب _التوحيد_اليوم الآخر_وغير ذلك).

نعم: بالفعل كانت بداية انطلاق الدين من مكة ولكن كل الأحكام نزلت في المدينة، فأراد النبي ﷺ أن يُبين أنه إذا كان كل هذا العلم قد انطلق في بداية الزمان من المدينة إلا أنه في نهاية الزمان سيعود إليها مرة أُخرى فهو البلد المُبارك الذي ضم ثراه الجُثمان الطاهر (جُثمان رسول الله ﷺ) وقد وردت أحاديث كُثُر تُبين فضل أهل المدينة.

عَنْ عَائِشَةَ هِيَ بِنْتُ سَعْدٍ، قَالَتْ: سَمِعْتُ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**لاَ يَكِيدُ أَهْلَ المَدِينَةِ أَحَدٌ، إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ المِلْحُ فِي المَاءِ**» **أخرجه البخاري**(١٨٧٧).

- **يكيد**: يدبر لهم ما فيه ضرر بغير حق، -**انماع**: ذاب أي أهلكه الله تعالى ولم يمهله.

بَابُ عِظَةِ الإِمَامِ النِّسَاءَ وَتَعْلِيمِهِنَّ

بوب الإمام البخاري باب يحمل هذا العنوان،
أي: أنه ينبغي على الإمام أن يعِظ النساء ويُعلمهن وذلك لأن النساء شقائق الرجال، وكما سيُحاسب الرجل على كل أوامر الشرع الواردة في الكتاب والسنة فإن المرأة هي الأُخرى ستُحاسب، وقد كان لدى النساء في الأزمنة السابقة حرص على الدين أكثر بكثير من زماننا الذي نعيش فيه.

وإن كانت بالفعل قد بدأت طائفة كبيرة جدًا من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تعود إلى الدين والقرآن.

ولكن مقارنةً بما كان يحدث فيما سبق فإننا نجد أن الحرص على تعلُّم العلم والدين كان شديد بالإضافة إلى الصبر على التعلُّم الذي لا يوجد عند الكثير من المُلتزمين الآن.

***الإشكال:** أن هناك من النساء أو الرجال ممن جاؤوا لتلقي العلم ولكنهم يقصدون شيئًا بعينه فإذا لم يجدوا هذا المُعين فإنهم يُعرضون عن الطريق بالكلية ثم يندمون فيما بعد ذلك.
فالعلم من الأمور التي تحتاج إلى الصبر والتؤدة والحلم والأناة وتلك صفات يُحبها الله.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَطَاءً، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ قَالَ عَطَاءٌ: أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «خَرَجَ وَمَعَهُ بِلاَلٌ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ **فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ المَرْأَةُ تُلْقِي القُرْطَ وَالخَاتَمَ، وَبِلاَلٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ**» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ: إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ عَطَاءٍ، وَقَالَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" **أخرجه البخاري(٩٨).**

- **خرج:** من بين صفوف الرجال إلى صفوف النساء، - **لم يسمع:** أي النساء كما في رواية، - **القرط:** ما يعلق في شحمة الأذن لدى النساء، - **يأخذ:** ما يتصدق به.

يُبين الحديث أن النساء عندما طلبن الموعظة من رسول الله ﷺ خرج إليهن ووعظهنَّ وفي نهاية الموعظة أمرهنَّ بالصدقة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقُلْنَ: **وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ**» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ**» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**» **أخرجه البخاري(٣٠٤).**

- **أريتكن:** أراني الله إياكن وذلك ليلة الإسراء، - **تكثرن اللعن:** تتلفظن به كثيرا حال الدعاء على أحد.
- **واللعن هو:** الطرد والإبعاد عن الخير والرحمة،
- **تكفرن العشير:** تجحدن نعمة الزوج وتنكرن إحسانه،
- **أذهب:** أشد إذهابا، - **للب:** هو العقل السليم الخالص من الشوائب،
- **من نقصان عقلها:** أي وجود الثانية معها لنسيانها وقلة ضبطها وهذا يشعر بنقص عقلها عن الرجل إجمالا وأما تفصيلا فقد تكون امرأة أكثر عقلا من كثير من الرجال.
- **من نقصان دينها:** أي إن ما يقع منها من العبادة وهي من أهم أمور الدين أنقص مما يقع من الرجل.

لقد نص الحديث على أن أكثر أهل النار هنَّ النساء فلماذا؟

إنهنَّ يُكثرن اللعن ويُكفرن العشير، واللعن : هو الخروج من رحمة الله.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ**» قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ، مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ". **أخرجه مسلم(٢٥٩٥).**

فكيف لإنسان أن يلعن آخر!

- **كُفران العشير:** إنكار كل ما يفعله الزوج من إنفاق وإكرام وإحسان وعطاء للزوجة والبيت ومحو هذا كله إذا ما صدر منه ما لا يُرضيها، فتُبكته وتُوبخه وتسمعه ما لا يليق.

لماذا تتحدث هذه الزوجة عن الجانب السيئ فقط؟ هو بالفعل لديه بعض العيوب ولكن أليس لديه إلى جانب ذلك مميزات يمكن أن تتلاشى إلى جانبها تلك العيوب، أو أن تغُضي الطرف عنها لأن لديه الكثير من الجوانب الإيجابية.

تلك من صور عدم الإنصاف أن تفعل المرأة ذلك لأن الكل سواء الزوج أو الزوجة لديهم عيوب وأخطاء كما أن الكل له مميزات فالكل تجمعه صفة أنهم بشر وبالتالي فلا ينبغي أن يقف كل واحد منهما وهو مُتربص للأخر وينتظر سقوطه في أي زلة لأن هذا يمكن أن يؤدي بالمرأة إلى جزئية كفران العشير وهو مدخل شيطان، في حين أن غض الطرف هو الأفضل لكلا الطرفين حتى لا يحدث ما لا تُحمد عقباه وليس هناك إنسان خالٍ من العيوب، بالفعل تتنوع العيوب وتختلف ولكنها لا تنعدم فنحن بشر وتلك هي أقدارنا ولابد من أن نرضى بها إلى جانب أن ندعوا الله أن يرفع عنَّا وهو القادر على أن يُغير الأخلاق كما يُغير القلوب.

- **الموعظة تعني:** الفائدة.

- **فرق بين مَن يدعو لإصلاح أحوال الناس ومَن يدعوهم ليجمعهم حوله،** فالداعي الذي يتحدث إلى الناس حسب أهوائهم وبما لا ينفعهم في أمر دينهم حتى يعودوا إليه مرة أُخرى هو في حقيقة الأمر يخونهم

وسيُحاسب على ذلك يوم القيامة، لأن الناس عندما يتوجهون إلى رجل الدين للسماع منه فإنهم يقصدون سماع شيء مفيد ينفعهم في أمر دينهم وبالتالي فالواجب عليه في المقابل أن ينظُر إلاما يحتاج المدعو كي يُصلح دينه.

وبالرغم من أن النبي ﷺ قد اجتمعت فيه صفات الرفق واللين والحلم والرحمة إلا أنه تكلم مع النساء بهذه الكلمات الشديدة جدًا في وقعها على النفس البشرية ولكن ذلك جاء محبةً وحِرصًا منه على مصلحتهن.

كما أن توجيه النبي ﷺ يدل على أن: الصدقة هي تكفير للخطايا لماذا؟ لأنه عندما أسمعهنَّ هذا الحديث ما الذي حدث؟: فَجَعَلَتِ المَرْأَةُ تُلْقِي القُرْطَ وَالخَاتَمَ، وبِلاَلٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ.

وهذه هي القلوب المنتبهة المُتيقظة التي تُسرع في الاستجابة لأوامر الله ونواهيه.

مسألة هامة:

بعض الدُعاة يأخذون مثل هذه الأحاديث والتي تنُص على جلوس الرسولﷺ لوعظ النساء ويفعلون الآتي:

يجلسون وأمامهم النساء في قاعات لا يفصل بينهم وبينهن حجاب فينظرون إلى بعضهم البعض ولا غضاضة في ذلك ويحتجون بأن النبيﷺ كان يعِظ النساء.

١- هذا هو النبي ﷺ وليس أنت أيه الداعي.

٢- نحن مأمورون بغض البصر وقد نص عليه الكتاب وكذا السنة وبالتالي فليس لك أن تنظُر للمرأة.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)}[الأحزاب]

إذن النظر مما لا يجوز شرعًا، لأنها تصنع من الفتن التي لا يعلم مدى خطورتها ونتائجها إلا الله عز وجل.

فمن مَن يُرد أن يُعطي الموعظة للنساء فعليه أن يضع حجابًا بينه وبينهن.

بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ

قال المُصنِّف رحمه الله: وكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ: انْظُرْ مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاكْتُبْهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ العِلْمِ وَذَهَابَ العُلَمَاءِ، وَلاَ تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلم، وَلْتُفْشُوا العِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ، فَإِنَّ العِلْمَ لاَ يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا.

- **دروس العلم:** ذهابه وضياعه، - **ولتفشوا:** من الإفشاء وهو الإشاعة،

-**لا يهلك:** لا يضيع، - **سرا:** مكتوما.

لقد أمر النبيﷺ في وقت من الأوقات صحابته بعدم كتابة شيء غير القرآن حتى لا يختلط بالأحاديث ثم بعد ذلك أباح لهم الكتابة وقد كان هناك مَن استوعب صدره بعض الأحاديث (المسألة تحتاج إلى تأصيل ليس هذا موضعه) أما التَّجميع والتدوين الحقيقي فقد كان في عهد عمر بن عبد العزيز.

قال عُمر: - **وَلْتُفْشُوا العِلْمَ:** أي انشره.

وهذا هو الواجب على كل مَن لديه علم أن ينشره شرط أن يكون هذا العلم صحيح.

وقال أيضًا: وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ: فلا تترك مَن لا يعلم حتى تُعلمه.

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ**

يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» أخرجه البخاري(١٠٠).

- **انتزاعا:** محوا من صدور العلماء، - **بقبض العلماء:** بموتهم،
- **رؤوسا:** جمع رأس وفي رواية (رؤوساء) جمع رئيس والمعنى واحد.

يُبين الحديث أن الله عز وجل لا ينزع العلم من العلماء أو العباد: فالله كريم منان لطيف أعطى البعض العلم وملأ صدورهم به فحفظوه وعملوا به، هُنا لا ينتزعه الله سبحانه منهم أي : لا يُنسيهم إياه.

وكلما كانوا في زيادة وقُرب من الله وإحسان في النفس والأخلاق والسرائر ومحاولة دائمة للعلو في أعمال القلوب فإن الله يُعطي أكثر وأكثر، وكلما حصلت مجاهدة للنفس في العلم وأمراض القلوب فإن صاحبها سيُزيده الله في العلم والعمل والفهم.

أما المقصود بالانتزاع للعلم فهو على صورتين:

١- إعراض الناس بالكلية عن العلم والتعلم هنا يُقبض العلماء لأن العلم عزيز، فإذا لم يجد العلماء مَن يُقبل على دروسهم لتلقي العلم والكل أعرض وحدثت الغفلة فإن الله يقبض العلماء ولا يبقى إلا الرءوس الجُهَّال فيسألهم الناس فيُفتونهم بغير علم هؤلاء ضلوا وأضلوا.

وشيء من هذه الصورة موجود الآن (قبض العلماء الآن كثير جدًا) والعلماء الثقات الذين يمكن أن يؤخذ العلم الصحيح على أيديهم (علماء

أهل السنة والجماعة) ويثق الشخص في علمهم وفقههم أصبحوا قليلين جدًا إذا ما قارناهم بعلماء السلف أو الأزمنة الماضية، والسبب هو أن أكثر الناس الآن مُعرضون.

٢- **وقال ابن بطال:** معناه أن الله لا ينزع العلم من العباد بعد أن يتفضل به عليهم، ولا يسترجع ما وهب لهم من العلم المؤدي إلى معرفته وبث شريعته، وإنما يكون انتزاعه بتضييعهم العلم فلا يوجد من يخلف من مضى، فأنذر النبي ﷺ بقبض الخير كله، وكان تحديث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في حجة الوداع، كما رواه أحمد والطبراني من حديث أبي أمامة، رضي الله عنه، قال: (لما كان في حجة الوداع قال النبي، صلى الله عليه وسلم: خذوا العلم قبل أن يقبض أو يرفع، فقال أعرابي: كيف يرفع؟ فقال: ألا إن ذهاب العلم ذهاب حملته، ثلاث مرات).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: **هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لاَ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ**، فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا القُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ: **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ عِنْدَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟**.

قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، قُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، إِنْ شِئْتَ لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا. سنن الترمذي(٢٦٥٣).

المعنى: أن النبي ﷺ نظر إلى السماء وقال أن هذا هو الوقت الذي يذهب فيه العلم.

فقال زياد بن لبيبة الأنصاري: كيف يختلس منَّا وقد قرأنا القرآن: وهذا ليس ردًا لكلام رسول الله ولكنه يقصد أنهم بمشيئة الله سيظلون حافظين للقرآن ودارسين وقارئين له وسيُعلمونه لنسائهم وأبنائهم ولن يُختلس العلم فقال النبي ﷺ: ثكلتك أمك يا زياد.

ولنا هنا وقفة: وهي أنه أحيانًا تُقال اللفظة وبها سب ولكن قائلها لم يقصد بها ذلك (وكلمة ثكلتك أمك: تعني فقدتك أمك) إلا أن هذه الكلمة كانت مُتداولة على لسان العرب وقولها لا يُقصد به الدعاء على الآخر بالموت، وبالتالي فلابد من الإلتفات إلى سيق الكلام، فلم يقصد النبي ﷺ أن يدعو على هذا الصحابي بالموت ولكنها كلمة تحمل معنى النهي أو الزجر.

- أول علم يُرفع من الناس الخشوع:

- فلماذا سمي الخشوع علمًا؟

قال أهل العلم: لأن العلم قسمان:

١- مَا كَانَ ثَمَرَتُهُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ:

وَهُوَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ الْمُقْتَضِيَةِ لِخَشْيَتِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُ، وَمَحَبَّتِهِ، وَرَجَائِهِ، وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.

ولو كان لدى الإنسان العلم الصحيح فأين الخشية ؟فالعلم بالله يقتضي الخشية والمهابة من الله والخوف منه وحفظ حدوده في السر والعلن

والمحبة واليقين والإقبال عليه والرضا بالقضاء عند نزول الأزمات والأمور التي يصعب على النفس تقبلها _الإنابة_التعظيم_ الرجاء_التوكل_إحسان الظن بالله _العمل للآخرة، كل هذه أمور في القلب وهي أول ثمرة للعلم تظهر على القلوب ثم تليها ترجمة الجوارح وهي الأعمال التي تقوم بها الأبدان، ونحن لا نُريد الأبدان الخاضعة ولكننا نُريد القلوب الخاشعة.

كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ، فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ.

قول ابن مسعود مُشابه لقول النبي ﷺ، فقال أن هناك أناس يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، هؤلاء يقرءون من الحناجر _من اللسان، والعقل منشغل بسفاسف الأمور وبغير ما خُلق من أجله (تحصيل الإجازة_تخرج من معهد كذا_حصل على شهادة كذا)أما لو قُرئ القرآن على الوجه الصحيح لنتج عن ذلك الخشية والخشوع وهذا مما لا يظهر على أكثر الناس، فالكثير يقرءون القرآن ويحفظونه وبالتالي فهم حاملين له ولكن عند مُخالطة هؤلاء نجد أن هناك سمت ينْقُصَهم، والسبب في ذلك هو أن الثمرة لم تظهر في القلب نظرًا لانشغاله بأشياء أخرى

_وَقَالَ الْحَسَنُ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَذَاكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ، وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.

٢- وَالْقِسْمُ الثَّانِي: الْعِلْمُ الَّذِي عَلَى اللِّسَانِ:

وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «**الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» ، فَأَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْبَاطِنُ الَّذِي يُخَالِطُ الْقُلُوبَ

وَيُصْلِحُهَا، وَيَبْقَى عِلْمُ اللِّسَانِ حُجَّةً، فَيَتَهَاوَنُ النَّاسُ بِهِ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَاهُ، لَا حَمَلَتُهُ وَلَا غَيْرُهُمْ، ثُمَّ يَذْهَبُ هَذَا الْعِلْمُ بِذَهَابِ حَمَلَتِهِ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الْقُرْآنُ فِي الْمَصَاحِفِ، وَلَيْسَ ثَمَّ مَنْ يَعْلَمُ مَعَانِيَهُ، وَلَا حُدُودَهُ، وَلَا أَحْكَامَهُ، ثُمَّ يُسْرَى بِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَلَا يَبْقَى فِي الْمَصَاحِفِ وَلَا فِي الْقُلُوبِ مِنْهُ شَيْءٌ بِالْكُلِّيَّةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَقُومُ السَّاعَةُ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ**» ، وَقَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ وَفِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ**» (جامع العلوم والحكم).

وأول ما يُرفع من العلم هو العلم النافع وهو العلم الذي يُخالط القلوب ويُصلحها(وهو علم العلماء) فلماذا؟ لعدم وجود قلوب تقبل هذا العلم، ويبقى العلم الذي على اللسان(الجُهَّال_المنافقين) فيتهاون الناس به ولا يعملون بمقتضاه.

فقد يكون الشخص ممن لديهم من العلم الكثير ولكنه منافق وعلمه ينحصر في مجرد النطق به لا العمل ولذلك فهو حجة عليه يوم القيامة لأنه لم يعمل به، فعلم اللسان لا ينفع صاحبه لأنه لم يعمل به، كما أنه لا ينفع غيره، والدليل على ذلك أن هؤلاء المنافقين لو أن أحدهم ظل يخطُب أعوام وأعوام على المنابر لما التزم أحد على يديه فضلًا عن الضلالات التي يتفوه بها فيضل بها مَن يسمعه، هؤلاء ليس لهم ثمرة.

أي أن: العلم سيظل يتناقص فتأتي أحداث نهاية الزمان، ويترك الناس التوحيد والعبادة ولا يبقى على الأرض مَن يُوحد الله فتُرفع المصاحف

ولا يبقى منها شيء وتخلو القلوب منها أيضًا بالكلية (يسرى بالقرآن في آخر الزمان) ،وكذا الكعبة فسوف تُهدم على يدي رجل من الحبشة.

ولكن لماذا يحدُث كل هذا للمسلمين؟

لأنه لا يوجد إسلام فلماذا تظل الكعبة باقية ولا أحد يحج إليها، فالموجود هم شِرار القوم الذين تقوم عليهم الساعة (فلا صلاة_صيام_قرآن_تسبيح) هذه النوعية من البشر يوجد الكثير منهم الآن، فهم لا يعرفون شيئًا البتة عن أمر دينهم، وهكذا يُقبض العلم، وحريٌ بكل عاقل أن يتعلم العلم ويُعلمه قبل أن نصل إلى هذا الحال، ففي العلم إصلاح للقلوب والنفوس.